المطامع الخارجية على مملكة كندة فى ضوء المصادر الكلاسيكية والمسندة ما بين عامين (٢٤ق. م-٣٢٨م)

الباحث / محمد عادل عبدالفتاح محمد
لدرجة الماجستير كلية الاثار قسم اثار مصرية

المقدمة

يعد البخور "ب خ ر ن" منأهم وأشهر المنتجات المحلية بجنوب شبه جزيرة العرب، و كانت تلقى ترحيبًا بسائر أسواق العالم القديم، لما كان يحققه حينئذ من أرباحٍ طائلة،وقد كانت ترتبط في المقام الأول لاقترانه بالطقوس الدينية المخصصة بآلهة ومعابد الوثنية السائد بتلك الأزمنة، هذا بالإضافة لاستخداماته الواسعة بمختلف الأغراض الحياتية، ولذا فليس من الغريب بأن يصبح هذا المنتج قديما بمثابة مطامع القوى الكبرى ... فَمَنْ هؤلاء القدماء كان يتخيل بأنه سيأتي يوم تنزوي فيه هذه السلعة كما هو حالها اليوم .

وقد تعد منطقة جنوب شبه جزيرة العرب الموطن الأكبر لإنتاج البخور، وذلك طبقًا لما ورد بالعديد من المصادر الكيلاسيكية(١)، وتمثل منطقة ظفار الواقعة هناك بحضرموت أبرز مناطق زراعته، وخاصة اللبان(٢) الذي يشكل – على الإطلاق – أشهر وأهم أصنافه(٣)، حتى أن الكيلاسيكيين أنفسهم قد نسبوه إلى منطقة ظفار، فعرف في كتاباتهم باسم "اللبان السكاليتي"، وذلك نسبة لديهم إلى خليج القمر الواقع جنوب ظفار، أو ربما قد اشتقوا تلك التسمية من اللفظة المسندية "سأكل س أ ك ل"، التي كانت تطلق على ظفار كما ورد بالعديد من النقوش المسندية(٤)، هذا وتشيد تلك المصادر الكيلاسكية كثيرًا إلى مدى المكانة التي كان يتمتع بها القائمون بالمتاجرة بذلك المنتج المتميز، حتى أن بليني يذكر في هذا الامر بأن الذين كانوا يحتكروا تجارته، وعددهم كما يذكر– ذلك المؤرخ – نحو ٣٠٠٠ أسرة، كل فرد منهم كان يحمل لقب "المقدس"(٥).

---

(1) Diodorus of Sicily, volL. 2, BK.2, ch. 49, p.47; Strabo, vol. 7, BK. 17, p.347; pliny, vol. 4, BK. 12, ch.30, p.39. 12.: Diodorus of Sicily, translated by Old Father, C., vol. II, London, 1953.

(٢) تعددت أنواع اللبان التي تزرع بظفار، ولعل من أشهرهم نوع يعرف باسم "شعبي"، ينمو قرب ساحل ظفار، ويعد أقل الأنواع جودة، ذلك إضافة لنوعين جيدين يزرعان بالداخل فوق مرتفعات ظفار، أحدهما يعرف باسم "شذرى"، والآخر باسم "نجدي":
Hepper, F., "Arabian and African FranKincense trees", JEA, vol. 55, 1969, p.67.

(٣) نقولا زيادة: "دليل البحر الأرثيري وتجارة الجزيرة العربية"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، جامعة الرياض، ١٩٨٤، ص٢٦٠.

(٤) عبد المنعم عبد الحليم سيد: البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، ج١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص٥٦٢.

(٥) Pliny , NaturaL History , translated by Rackham , H., vol. 4, BK. 12, ch.30, London, 1952, p.39.

وكان هؤلاء التجار المنتمون لجنوب بلاد العرب يقومون بنقل البخور من مناطق إنتاجه مع سائر سلعهم إلى الخارج برباً، ولعل الذي دفع هؤلاء الأقوام كما يعتقد الباحث في تفضيل ذلك النوع من النقل عن نظيره عبر البحر الأحمر، المعروف بكثرة شعابه المرجانية وصخوره الناتئة، وكذلك أيضًا المنافسة الاخارجية الضروس، التي كانت تواجه تجار جنوب شبه الجزيرة العربية فوق مياهه من قوى عديدة، كالبطالمة والرومان والفرس والأحباش، فكل هذا من شأنه أن جعل تجار العرب هؤلاء يوجهون اهتمامهم إلى النقل البري، خاصة وأن لديهم خبرات واسعة بطبيعة الطرق الصحراوية، وأساليب التعامل مع القبائل الضاربة حولها.

طريق البخور:

وقد استخدم هؤلاء التجار العرب من أجل ذلك الغرض طريقًا دوليًا قديمًا عُرف بـ "درب البخور او طريق البخور العظيم"(٦)، كان يخترق أنحاء الجزيرة العربية من جنوبها لشمالها وشرقها، عبر مروره بمجموعة كبيرة من المراكز التجارية،التي تعد بمثابة محطات تتوقف بها القوافل بغرض الراحة والتزود بالماء والزاد، وقد حددها بليني بنحو٦٥ محطة، جعل بدايتها عند مدينة "تمنع ت م ن " عاصمة دولة قتبان(٧)، بينما يحددها صاحب الطواف حول البحر الآريتري بميناء "قنا ق ن ا"(٨) (حاليًا ميناء بئر علي) (٩)، وإن كانت من الرأي الأخير انطلاقًا من أن هذا الميناء كانت تجلب إليه شحنات من البخور القادمة من المناطق الساحلية الأخرى، عبر موانيئها مثل موزا وأوكليس وعدن (يوديمون)، هذا فضلًا عن شحنات إضافية أخرى تُجلب كذلك إلى ميناء قنا من الجزر العربية هناك، كجزيرة سوقطرى الواردة في كتابات صاحب الطواف الأريثري باسم "ديوسكورديا"، وقد ذكر بأنها تنتج نوعاً من البخور أطلق عليه اسم "دم الأخوين"، كما يذكر ذلك المؤرخ الكيلاسيكي – كانت تتبع ملك بلاد البخور(١٠).

وعامة كانت القوافل تتجه بعد شحنها في مسيرها نحو الشمال، مجتازة في ذلك المحطات اليمنية القديمة، مروراً بشبوة (عاصمة مملكة حضرموت)، ثم تمنع ثم مأرب (عاصمة مملكة سبأ)، حتى تصل نحو مدينة "كندة كندت"، التي عندها يتفرع طريق البخور هذا إلى فرعين رئيسيين ،كما في الخريطة رقم١ ، أحدهما يتجه إلى ساحل الخليج العربي حيث مدينة الجرهاء،

---

(٦) Beeston, F.L., "Some observations on GreeK and Latin Date relating to South Arabia", BSOAS , vol. 42, 1979, p.7.

(٧) Pliny, Natural History, translated by Rackham, H., Vol. 11, Bk. VI. 2nd., London, 1947.. 12,ch. 32, p.47.

(٨) BeeK, G.W.V., "FranKinense and Myrrh in ancient South Arabia", JAOS, vol. 87, N. 3, 1958, p.142.

(٩) عدنان ترسيسي: بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، ط٢ ، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٠، ص٢٦١.

(١٠) نقولا زيادة: دليل البحر الأرثيري وتجارة الجزيرة العربية ، ص٢٦٧

عبر مجموعة من المحطات التجارية، أشهرها مدينة "قرية ذات كهل ق ر ي ة / ذ ت / ك ه ل" (عاصمة مملكة كندة الأولى)، والآخر يتجه نحو أقصى شمال جزيرة العرب، مرورًا أيضًا بمجموعة من المحطات التجارية كيثرة الوديدان (العلا حاليًا)، حتى ينتهى بمدينة البتراء (عاصمة مملكة الأنباط)، التي تمثل المحطة الأخيرة لطريق البخور، حيث كان يسارع هناك الأنباط بما لديهم من حس تجاري فائق، من شراء شحنات تلك القوافل، ثم ينقلونها عبر نقب فلسطين، للتصدير إلى الخارج خلال موانئ البحر المتوسط(١١)، وهذا من شأنه أن أثرى هؤلاء الأنباط، رغم قسوة صحاري بلادهم وندرة مياهها طبقًا لوصف ديودور الصقلي(١٢)، وذلك بأن جعلهم لا يقلون تنعمًا عن باقى الشعوب المنتجة للبخور بجنوب جزيرة العرب، من ثراء فاحش أبهر الكثير من الكيلاسيكيين بفضل تلك السلعة، حتى أن استرابو – كشاهد عيان لأنه زار تلك المنطقة– يصف ثراء السبئيين هناك، بقوله: "إن السبئيين كانوا يملكون أدوات كثيرة من مقاعد وركائز وأوعية وكئوس جميعها مصنوعة من الذهب والفضة، وقد اتسمت منازلهم كذلك بالفخامة، فكانت أبوابها وجدرانها وأسقفها من الداخل مزينة بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة "(١٣) .

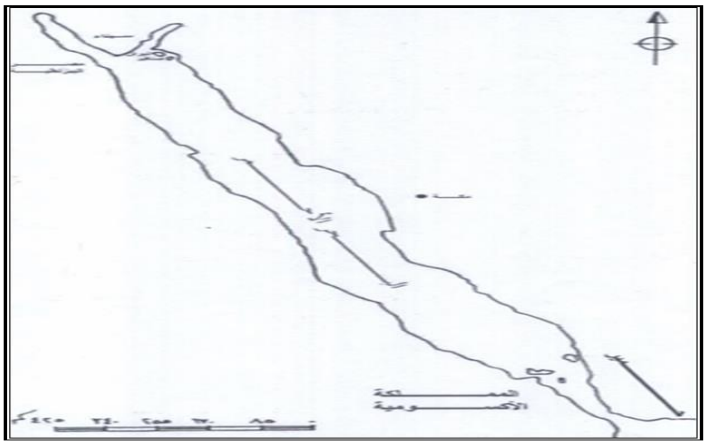

(١1) Starcky , J., "The Nabataeans: a historicaL Sketch", B A, voL,18, N.4, December, 1955,p.87.
(١٢) Diodorus of Sicily , translated By Oldfather, C.H., vol 2, Bk. 2, ch. 45, London, 1953, p.41.
(١٣) Strabo., vol. 7, BK.16, ch. 19, 4th. ed., London, 1966, p.349.

وقد شكل ذلك الثراء الكبير لشعوب شبه جزيرة العرب بسبب المتاجرة في البخور، خطرًا داهمًا على تلك المنطقة وخاصة الجنوبية منها، حيث جعلها مستهدفة دائمًا من القوى الكبرى الطامعة

في الاستحواذ على هذه السلعة البالغة الأهمية، بأن تلك المطامع قد تركزت بصورة واضحة على مدينة كندة دون غيرها، ويكمن السبب وراء ذلك– دون شك– في طبيعة موقعها المتميز عبر طريق البخور، لكونها تمثل جسرًا يتفرع عنده هذا الطريق التجاري الكبير إلى اتجاهين رئيسيين، أحدهما يسير شرقًا نحو الخليج العربي، والآخر لأقصى شمال الجزيرة العربية حيث مدينة البتراء، وهذا من شأنه أن جعل من الذي يسيطر على تلك المدينة بمثابة المتحكم الأكبر في تجارة البخور بسائر أنحاء جزيرة العرب بصفة عامة.

ومن أجل هذا فإن مدينة نجران كانت بصفة خاصة محط أنظار الطامعين في تجارة البخور، وأبرز تلك المطامع خلال الفترة الممتدة ما بين عامي٢٤ق.م–٣٢٨م، يتمثل فى الآتي:

أولًا: تهديد الرومان لكندة:

وقد كانت حاجة الرومان الملحة لسلع الجزيرة العربية وخاصة البخور،له دوراً كبيراً وفعال في جعلهم يوجهون الكثير من اهتمامهم بتلك المنطقة، لاسيما وأنهم كانوا يستهلكونه بشكل أوسع في مختلف شئون حياتهم الدينية والدنيوية وبكميات كبيرة وضخمة، حتى أن المؤرخ الروماني بليني يذكر في هذا بأن الإمبراطور نيرون (٥٤–٦٨م) قد أحرق في يوم واحد بجنازة زوجته بوبايا كميات مهولة من البخور، تفوق ما تنتجه جنوب جزيرة العرب ذاتها في عام كامل(١٤)، ومن أجل هذا فكانت خزينة الإمبراطورية تتحمل أموالًا كثيرة لجلب تلك السلعة، حتى أن المؤرخ الروماني بلينى يذكر فى أن تجار العرب والهند والصين يأخذون من أموال الإمبراطورية على أقل تقدير مائة مليون سيستركس سنويًا(١٥).

ومن أجل هذا فقد حرص الرومان على ضرورة الاستحواذ على تلك السلعة من خلال السيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد تجلى هذا واضحًا منذ الربع الأخير من القرن الأول ق.م، وذلك مع بداية العصر الإمبراطوري، الذي كانت روما خلاله تسيطر وبقوة على معظم بلدان وممالك الشرق القديم(١٦)، وباتت الأساليب العسكرية تمثل حينذاك لدى سياستها الحلول السحرية في تنفيذ ما يطمحون إليه، لاسيما مع نشوة ما حققوه من انتصارات وتوسعات كبرى بزمن ملكهم الأكبر أغسطس، الذي هيات له مطامعه على اجتياح جزيرة العرب بريًا،

(١٤)Pliny , NaturaL History , translated by Rackham , H., vol. 1v, BK. 12, ch.30, London, 1952.,p.61.

(١٥) Pliny , NaturaL History , translated by Rackham , H., vol. 1v, BK. 12, ch.30, London, p.63.

(١٦) إبراهيم يوسف الشتلة: "حملات الرومان على الجزيرة العربية"، ع٣، السنة التاسعة، الرياض، يناير١٩٨٤، ص١٠٢.

والاستيلاء على مناطق إنتاج البخور بها، فأرسل من أجل ذلك حملة عسكرية بقيادة الوالى الرومانى إلى مصر "ايليوس جاليوس" عام٢٤ ق.م على جنوب جزيرة العرب، وقد سجل أحداثها الجغرافي الروماني الشهير "استرابو"، كشاهد عيان شارك في تلك الحملة(١٧).

ويعتقد الباحث بأن أهداف تلك الحملة قد تركزت في المقام الأول على السيطرة على مدينة كندة بصفة خاصة دون باقي جنوب جزيرة العرب، وذلك استنادًا إلى عدة قرائن تدعم هذا الطرح، يكمن أولها في أهمية موقع تلك المدينة المتميزعبر فرعي طريق البخور العظيم، إذ من خلال الاستيلاء عليها يمكن للرومان دون مشقة الاستحواذ أو الاحتكار التجاري التام للقوافل المحملة بالبخور من مناطق إنتاجه بجنوب جزيرة العرب، والمتوجهة عبر كندة إلى الطريق المؤدي لساحل الخليج العربي، أو إلى الطريق المؤدي لشمال الجزيرة العربية، ومما يدعم ذلك الرأي أيضًا أن محدودية قوة تلك الحملة الرومانية وضآلة أعداد أفرادها التي لم تتجاوز العشرة آلاف جندي (١٨)طبقًا لما ذكره استرابو(١٩)، لا يمكن أن يتعدى هدفها سوى الاستيلاء فقط على مدينة بعينها، وليس على منطقة باتساع وحجم جنوب شبه الجزيرة العربية ككل، خاصة في ظل تضاريسها الوعرة، ودولها القوية كسبأ وحضرموت.

إّضافة لهذا فإن تتبع مسير تلك الحملة الرومانية على ضوء ما ورد في كتابات الكيلاسيكيين، وبخاصة استرابو المشارك في أحداثها، من شأنه أن يوضح بأن مدينة كندة كانت هي المستهدف الأول من تلك الحملة وبشكل أساسي، بدليل أنه بمجرد أن وطئت أقدام هؤلاء الرومان الغزاة لأرضها بعد فرار حاكمها، سارعوا بتأمين وجودهم بها، فهاجموا جيشًا من الأعراب كان مرابصًا قرب نهر على بعد مسيرة ستة أيام منها، وقتلوا من أفراده– طبقًا لما يذكره استرابو– نحو عشرة آلاف مقاتل، وسقطت على أثر ذلك عدة مدن(٢٠) تحت أيديهم، مثل "آسكا Asca"، "أثرولا Athrula"، ووضع قائد الحملة ايليوس جاليوس قوة عسكرية، ثم توجه جنوبًا نحو مدينة "Marsiaba" وحاصرها لمدة ستة أيام، ولكنه سرعان ما رفع هذا الحصار، ولم يحاول من هناك التوغل بجنوب بلاد العرب للسيطرة على مناطق إنتاج البخور،

---

(١٧) 58. Starcky , J., "The Nabataeans: AhistoricaL Sketch", BA, voL,18, N.4, December, 1955, p. 97.

(١٨) يذكر استرابو أنه تم تزويد الحملة بنحو ألف مقاتل من الأنباط، وخمسمائة من يهود أورشليم:
Strabo, The Geography of Strabo, translatd By Jones, H.L., vol. vII, 4th. ed., London, 1966, ch.23,p.357.

(١٩)Strabo, The Geography of Strabo, translatd By Jones, H.L., vol. vII, 4th. ed., London., p 357.

(٢٠) يعتقد بأن مدينة "أسكا "Asca هي مدينة "نشق"، و "اثرولاAthrula " هي مدينة يثل، أما "Marsiaba" ما هي سوى مدينة مأرب:
Strabo, The Geography of Strabo, translatd By Jones, H.L., vol. vII, 4th. ed., London ch. 24, p.361.

رغم أنها لم تبعد عنه سوى مسيرة يومين فقط، طبقًا لما أخبره به بعض الأسرى الذين بقبضتهم[٢١]، وهذا بالطبع يؤكد –بما لا يدعو للشك– أن هدف تلك الحملة كان ينحصر فقط على السيطرة على مدينة كندة، وليست على مناطق إنتاج البخور ذاتها.

وأخيرًا فيبدو ما سبق بأن السياسة الرومانية كانوا يدركون بفكرهم العسكري، مدى استحالة اجتياز جنودهم لجنوب بلاد العرب من أجل الهيمنة على مناطق زراعة البخور هناك، في ظل وعورة تضاريس تلك المنطقة مع مقاومة أهلها المستميتة، ولذا فكانوا يفضلون التركيز على السيطرة على أبرز المراكز التجارية التي تمكنهم من الاستحواذ على تجارة البخور الرائجة، بدلًا من المجازفة بجنودهم في هلاك لا مخرج منه، وهذا يفسر ما حدث بعد ذلك حينما بعث الرومان حملة بحرية أخرى ذكرها بليني، كانت بقيادة "جايوس لوكيوس قيصر"[٢٢]، في عهد الإمبراطور "كلاوديوس" (٤١–٥٤م) [٢٣]، استولت فقط على ميناء عدن، ليكون بمثابة منفذ روماني تجاري يُجلب إليه البخور من الداخل، دون المجازفة لخوض قواتهم مناطق وعرة ومقاومة مستميتة.

وعامة فلم تستطع حملة إيليوس جاليوس الرومانية البقاء طويلًا بكندة، وسرعان ما رحلت الجنود العسكريين عن تلك المدينة التجارية، وبقية المدن الأخرى التي استولت عليها بجنوب جزيرة العرب، لما حل بجنود تلك الحملة من إرهاق بالغ وأمراض فتاكة، على أثر المسير بين أودية وصحاري جزيرة العرب بقسوة ظروفها الطبيعية نحو ستة أشهر طبقًا لما حدده استرابو[٢٤]، مما أشعر قائدها ايليوس جاليوس باستحالة البقاء بتلك المنطقة[٢٥].

ومن الأمر الغريب في الصدد بأن استرابو هذا قد أرجع ذلك الفشل الذريع فى الحملة إلى الوزير النبطي سلايوس [٢٦]الذي اصطحبه الرومان معهم ليكون دليلًا ومرشدًا في مسير حملتهم لجنوب بلاد العرب، ولكنه عن قصد– كما يذكر استرابو– تعمد تضليل الرومان وخداعهم بالمسير في طرق دائرية وعرة[٢٧]، ولكن الرأي عند الباحث بأن استرابو هذا قد أراد من وراء

---

(٢١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزئين الثانى والثالث،ط ٢، جامعة بغداد، ١٩٩٣م ، ص٥٣-٥٧.

(٢٢) Pliny , NaturaL History , translated by Rackham , H., vol. 1v, BK. 12, ch.30, London, 1952.,p.39.

(٢٣) جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، ترجمة: السيد يعقوب بكر، الأنجلو المصرية، ١٩٥٨، ص٧٩.

(٢٤) STRABO, THE GEOGRAPHY OF STRABO, TRANSLATD BY JONES, H.L., VOL. VII, 4TH. ED., LONDON ch. 24p.361.

(٢٥) توفيق برو: تاريخ العرب القديم، دمشق، ١٩٨٨، ص٨١.

(٢٦) وردت تسمية سلايوس بالمراجع العربية باسم صالح، ولعل ذلك يرجع كما يذكر أستاذنا الدكتور/ عبد العزيز صالح (رحمه الله) إلى أن أحد معاوني الملك النبطي عباده الثالث (٣٠-٩ق.م) الذي كان يحكم أثناء حملة إيليوس جاليوس، كان بالفعل يحمل اسم "صالح":

عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠، ص١٦٤.

(٢٧) STRABO, THE GEOGRAPHY OF STRABO, TRANSLATD BY JONES, H.L., VOL. VII, 4TH. ED., LONDON CH., ch. 23 , p.355.

ذلك إخفاء الأسباب الحقيقية لهذا الفشل الذريع، والتي تكمن في المقام الأول– كما اعتقد– في الجهل بالطبيعة القاسية لصحاري وجبال الجزيرة العربية من قبل المسئولين الرومان عن تلك الحملة؛ سواء كان في ذلك الإمبراطور أغسطس الذي أمر بخروجها بريًا، أو قائدها إيليوس جاليوس الذي أقر بذلك، أو حتى استرابو نفسه الذي يعد أشهر جغرافي عصره، ومما لا شك فيه بأن هذا يعد السبب الأساسي الذي دفع الرومان لاصطحابه معهم كعليم وخبير بالمسير عبر الطرق الصحراوية، ولذا فمن الأمر الطبيعى أن يلقي بمسئوليته تلك على عاتق سيلايوس، إضافة إلى هذا فلعل ما يضعف مزاعم سترابو في ذلك الشأن ويجعلها غير واقعية، أن هذا الوزير كان يدرك بالطبع أنه بتضليله للرومان بغرض إهلاكهم في آتون الصحراء، بأنه سوف يلاقي نفس المصير الذي سيلقاه غيره من جنود تلك الحملة إذا أقدم على ذلك الصنيع، بجانب ذلك أيضًا فإنه كان يعلم يقينًا خاصة وهو مسئول نبطي ذو مستوى رفيع، بأن خيانته هذه سوف يعرض أهله وبلاده– دون شك– لانتقام روما، التي تعد حينذاك القوى الأولى في العالم على الإطلاق، هذا وفي نفس الوقت فإن الشواهد التاريخية تؤكد بوضوح بالغ مدى حرص دولة الأنباط وسعيها الدءوب – رغم استقلالها– على ضرورة كسب رضا تلك القوى الكبيرة وعدم معاداتها، بدليل إمداد الأنباط لحملة إيليوس جاليوس– كما أشار استرابو نفسه–بألف مقاتل(٢٨).

بجانب ذلك فهناك أمر جدير بالذكر في هذا الامر يرتبط بالسياسة الرومانية ذاتهم، وعلى رأسهم الإمبراطور أغسطس، يكمن ذلك في أن هناك من القرائن ما يشير إلى عدم اقتناعهم بذلك الاتهام الذي أشاعه استرابو ضد سيلايوس، بدليل أنه حينما أمر أغسطس بالإطاحة برأس سيلايوس بروما كان ذلك في عام٥ق.م(٢٩)، أي بعد مضي تسعة عشر عامًا من تلك الحملة، مع أن هذا الوزير النبطي كان دائم التردد خلال تلك الفترة على القصر الإمبراطور بروما لمقابلة أغسطس، ولهذا فإن إقدام هذا الإمبراطور على قتل سيلايوس بعد مرور تلك المدة الطويلة، لا يتمشى منطقيًا مع ادعات استرابو، إذ لا يعقل بأن يُعاقب سيلايوس على تلك الخيانة الشنيعة في حق حملة رومانية كاملة – كما زعم استرابو – بعد مضي مثل تلك المدة الطويلة، لاسيما وأن الأحداث التاريخية تشير في هذا الصدد عن وجود مؤمرات سياسية دبارة ضد هذا الوزير، تعود إلى خصمه وعدوه اللدود هيرودس (٣٨–٤ق.م) حاكم أورشليم التابع لروما، وإلى البلاط النبطي نفسه، الذي كان يقلقه كثيراً مدى طموح سيلايوس وبالغ دهائه(٣٠) .

---

(٢٨) Strabo, The Geography of Strabo, translatd By Jones, H.L., vol. vII, 4th. ed., London ,p 357.

(٢٩)Starcky , J., "The Nabataeans: AhistoricaL Sketch", BA, voL,18, N.4, December., p. 97.

(٣٠) السيد محمد السعيد: "السياسة الخارجية لهيرودس الكبير (٣٨-٤ق.م)"، مجلة كلية آداب المنوفية، ع ٤٨، يناير ٢٠٠٢، ص ٩٧.

لذلك فإنه يتضح جلياً مما سبق أن ذلك الفشل الذريع لحملة إيليوس جاليوس، يعد بمثابة درساً قاسيًا ادركوه الرومان جيداً في عدم التفكير في التهديد العسكري المباشر لمدينة كندة أو حتى لجنوب بلاد العرب بصفة عامة، غير أن هذا لم يجعلهم يكفوا عن إشعال تلك المدينة التجارية بالفتن والمؤامرات، على أمل تحقيق ما فشلوا فيه عسكريًا، وقد برز ذلك بشكل كبير عبر مذبحة كندة الشهيرة، في عهد آخر الملوك الحميريين المدعو "يوسف أسأر ي و س ف / أ س أ ر"، والتي انتهت بالاحتلال الاكسومى لأرض اليمن السعيد عام٥٢٥م والمدعوم رومانياً.

ثانيًا: الخطر الأكسومي بعصر دولة سبأ وذريدان على كندة:

تمثل مملكة أكسوم الحبشية أخطر القوى الاخارجية التي تطلعت للسيطرة وبسط النفوذ على مدينة كندة وعلى جنوب بلاد العرب بصفةٍ عامة، من أجل إحكام قبضتها على تجارة البخور المنتعشة حينذاك، وقد ساعدها على ذلك– دون شك– التقارب الجغرافي الكبير بينهما؛ فمضيق باب المندب "مدبن م د ب ن" لا يزيد اتساعه عن العشرين ميلًا، وعبر تلك المسافة المحدودة تقع جزيرة "ديودوروس" (بريم حاليًا)[٣١] ، ومن أجل هذا فقد حدثت علاقات واتصالات قوية ووطيدة بين هاتين المنطقتين، سبقت بكثير ظهور مملكة أكسوم[٣٢]، يتمثل أبرزها في هجرة الكثير من قبائل جزيرة العرب إلى الشرق الإفريقي، لعل أشهرهم قبيلتي "حبشت ح ب ش ت"[٣٣]، التي كانت تسكن منطقة المهرة، ومنها اشتق اسم الحبشة، وقبيلة "الأجاعز" التي أطلق اسمها أيضًا على اللغة الحبشية المعروفة بـ "الجعزية"[٣٤]، وقد أدت هذه العلاقات – دون شك – إلى انتقال الكثير من التأثيرات اليمنية إلى تلك المنطقة، وقد تمثل ذلك بجلاء بالغ في العديد من المظاهر الثقافية كالكتابة واللغة وعبادة الآلهة اليمنية، كإله القمر "ايل مقه ا ل م ق ه" السبئي، الذي قدس هناك باسم "محرم"، وكذلك "عثتر ع ث ت ر " إله الزهرة، إضافة إلى هذا فقد تجلت هناك أيضًا تأثيرات أخرى يمنية بالعمارة والتماثيل ومحارق البخور والأنصاب وشواهد القبور، ولاسيما بالمنطقة الحبشية الممتدة عبر مدن "مطرا" و "يحا" و"أكسوم"، الواضحة بالخريطة (رقم٢)، والتي قد استقر بها هؤلاء المهاجرون اليمنيون، ومنها توجهوا

---

(٣١) شوقي عطا الله الجمل: جزر البحر الأحمر ومضايقه وأهميتها الاستراتيجية"، ندورة البحر الأحمر عبر عصور التاريخ، حصاد (١١)، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢٠٥.

(٣٢) اختلف المؤرخون حول تحديد تأريخ مملكة أكسوم، ولكن من المرجح أن تلك المملكة كانت متواجدة خلال القرن الأول ق.م، وذلك استنادًا لما كشفت عنه حفائر البعثة الأثيوبية عن قربان نذري من البرونز يرجع تاريخه للقرن الأول ق.م، قد نقش عليه اسم الملك الأكسومي "جدرت": سبتينوموسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦، ص٢١٤.

(٣٣) لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة، ط ٢، بيروت، ١٩٧٩، ص٤٠٢.

(٣٤)عبد الله حسن الشيبة: دراسات في تاريخ اليمن القديم، تعز، ٢٠٠٠، ص١٧٠.

بعد ذلك إلى داخل الشرق الإفريقي(٣٥)، وهناك من يعتقد أن هؤلاء المهاجرين أيضًا قد أسسوا فيما بعد مملكة أكسوم ذاتها(٣٦).

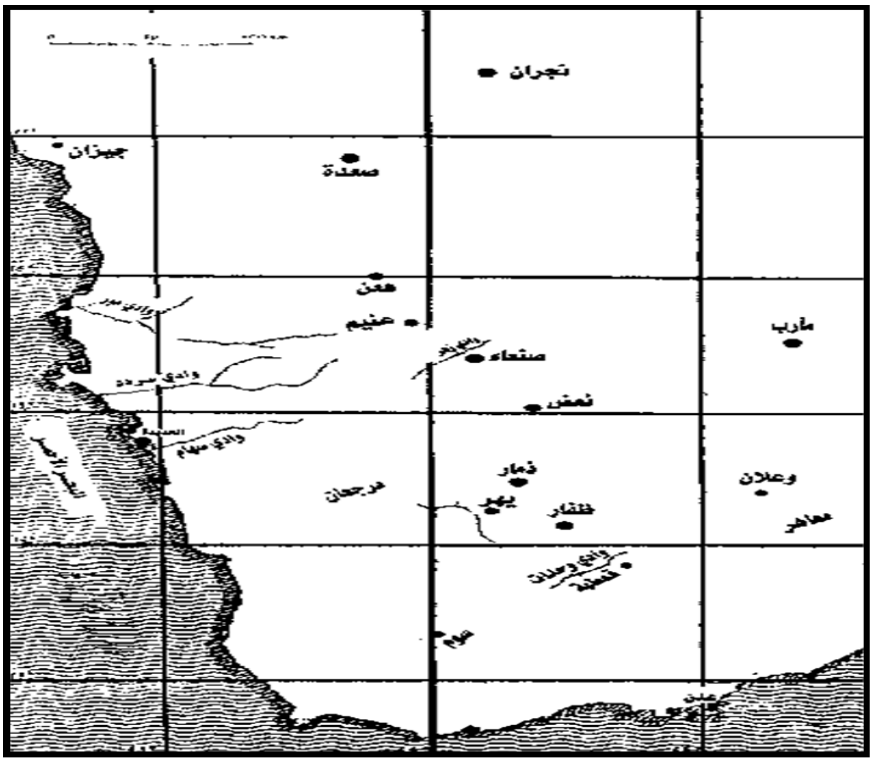

وقد تغيرت طبيعة تلك العلاقات الودية وتبدلت بين هاتين المنطقتين مع استكمال قوة أكسوم العسكرية، إلى مطامع توسعية تهدف إلى السيطرة على منطقة جنوب الجزيرة العربية، وخاصة مدينة كندة لإحكام قبضتهم على تجارة البخور الرائجة، والتي أشاد ببالغ ثرائها – كما أشير سابقاً – الكيلاسيكيون كهيرودت واسترابو وبلينى(٣٧)، ولعل أيضاً الذي شجع الأكسوميون بشكل كبير على ذلك، يكمن في وجود عسكري قديم لهم بجنوب جزيرة العرب، وذلك استنادًا لما ورد بكتابة حبشية ونقوش مسندة عثر عليها بميناء

(٣٥) عبد المنعم عبد الحليم سيد: "صفحة من الصلات بين اليمن والأحباش"، مجلة المؤرخ العربي، ع١١، مج١، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مارس٢٠٠٣، ص٣٠-٣١

(٣٦) Shinnie ,p.L., "The Nilotic Sudan and Ethiopia 66oBC to c.600 AD", The Combridge History of Africa , voL.2, Cambridge university , 1978., p.262.

(٣٧) عدنان ترسيسي: بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى ، ص٥٠-٥١.

"عدول"،الواقع على بعد خمسين كيلو متراً من جنوب مصوع مص و ع[٣٨]، وتعرف تلك الكتابة بـ "نقش أدوليس"، وهو نقش ملكي أكسومي خالٍ من اسم الملك الذي دونه وزمنه[٣٩]، ولكنه يشير لسيطرة الأكسوميين على أراضي بجزيرة العرب، وردت باسم "العربيتاى والكنيد والكرلبيتاى"[٤٠]، وقد حددها "ويزمان" بالمنطقة الساحلية للبحر الأحمر، الممتدة من ميناء ينبع شمالًا إلى "وادى بيش" بالحدود اليمنية جنوبًا[٤١]،ويستبعد الباحث ذلك وأرجح بأنها تقع بالساحل اليمني المواجه مباشرة للحبشة، استنادًا إلى أن الهدف المنطقي من هذا التواجد الأكسومي بجزيرة العرب، يقتصر في المقام الأول في الهيمنة على خيرات تلك المنطقة، المنحصرة حينذاك باليمن بثرائها التجاري الكبير، إضافة لهذا فإن اقتصار الوجود العسكري الأكسومي بالسواحل اليمنية المواجهة للاكسوميين، يجعل من السهل توفير الحماية اللازمة لاستقراره وتدعيمه، بينما الساحل الذي حدده ويزمان من شأنه أن يعرض القوات الأكسومية لهجمات القبائل الضاربة به، هذا فضلًا عن عدم وجود أهداف اقتصادية هناك، يسعى الأكسوميون لتحقيقها من وراء تواجدهم العسكري بذلك الساحل التهامي المجدب.

وقد اصطدمت تلك المطامع الأكسومية بمقاومة عنيفة حمل لوائها ملوك دولة سبأ وذريدان اليمنية، وخاصة الملكين "شعر أوتر شع ر / أ و ت ر" وخليفته "ايل شرح يحضب ا ل ش ر ح / ي ح ض ب" اللذان دافعا باستماتة بالغة عن مدينة كندة، وأنقذها من هذا الخطر الأكسومي ومؤامراته، يتضح ذلك في الآتي:

١ – الملك شعر أوتر وحماية لكندة:

يعتبر شعر أوتر أول حكام جنوب الجزيرة العربية في التصدي للوجود الأكسومي وحماية كندة من تهديداتهم، مستفتحًا بذلك عصر جديد من مقاومة هذا الدخيل الأجنبي، عُرف بعصر "دولة سبأ وذريدان"، التي لم يتفق المؤرخون حول تحديد زمنها، وكذلك حول فترة حكم شعر أوتر أول ملوكها[٤٢]، لعدم وجود تأريخ بالنقوش المسندية المرتبطة بهذا الملك، غير أن تلك النقوش تؤكد بأنه أول من حمل اللقب المميز لحكام تلك الدولة والمدون مسنديًا بـ "ملك سبأ وذريدان م ل ك/ س ب أ و ذ ر ي د ن"، عقب موت والده الملك "علهان نهفان ع ل ه ن / ن ه ف ن

(٣٨) فرانسيس أنفرى: "حضارة أكسوم من القرن الأول إلى القرن السابع"، حضارات أفريقيا القديمة، مج ٢، ط٢، اليونسكو، ١٩٨٩، ص ٣٦٧.

(٣٩) فوزي عبد الرازق بيلي مكاوي: "مملكة أكسوم"، رسالة دكتوراة غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م ، ص ٤٠.

(٤٠) فوزي عبد الرازق بيلي مكاوي: "مملكة أكسوم"، ص ٣٥.

(٤١) Wissmann, V., Himyar, Ancient History, Le Museon, 3-4, Lauvain, 1964", p.472.

(٤٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٣٦٩.

"، الذي اقتصر لقبه الملكي فقط على "ملك سبأ م ل ك / س ب أ " ويتجلى ذلك بالسطور "٢-٤" من النقش الموسوم بـ"Ja.636"، فيما نصه(٤٣):

٢- .../ م ر أ ه م و/ ش ع ر م / أ و

.../م ر أ هـ م و/ش ع ر م /أ و

... سيدهم شعر أوتر

٣- ت ر/ م ل ك/ س ب أ / و ذ ر ي د ن / ب ن / ع

ت ر / م ل ك / س ب أ / و ذ ر ى د ن / ب ن / ع

ملك سبأ و ذى ريدان بن

٤- ل ه ن / ن ه ف ن / م ل ك / س ب أ /

ل هـ ن / ن هـ ف ن / م ل ك / س ب أ /

علهان نهفان ملك سبأ

وهذا يتضح جهود الملك شعر أوتر بوضوح بالغ في إنقاذه لكندة من خطر الأكسوميين، حينما تمكن من إحباط تآمر هؤلاء الدخلاء خلال تحالفهم الخطير مع مملكة كندة الأولى بنجد(٤٤)، لضرب حركة تجارة القوافل – في آن واحد – المارة من نجران إلى ساحل الخليج العربي، وذلك من خلال قيام الكنديين بقطع طريق قوافل البخور المارة عبر عاصمتهم قرية ذات كهل، الواقعة على ذلك الطريق الواصل إلى ساحل الخليج العربي، على أن تقوم في الوقت ذاته قوات الأكسوميين بالتقدم بقوة نحو مدينة كندة(٤٥)، ولم يقف شعرأوتر مكتوف الأيدي أمام تلك التهديدات الأكسومية الكندية، حيث سارع في البداية بإرسال قوة عسكرية، أسند قيادتها إلى قائده "ابكرب أحرس العبلي أ ب ر ب/أ ح ر س / ع ب ل ين"، الذي توجه إلى نجران، وهاجم قوات الأكسوميين المرابصة هناك، وتمكن من إبعادهم عن تلك المدينة المهمة، ثم سار بعد ذلك بقواته نحو مملكة كندة، وهاجم مرتين عاصمتها قرية ذات كهل، وألحق الهزيمة بملكها المدعو "ربيعة ذي الثور ر ب ع ت / ذ ي/ أ ل ث و ر "، ومن كان معه من سادات وكبراء كندة،

(٤٣) Jamme, A., Sabaean inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), vol. III, Balitimore, 1962, p.139.

(٤٤) Wissmann, V., Himyar, Ancient History, Le Museon, 3-4, Lauvain", p. 474.

(٤٥)Beeston, F.L., "Some observations on GreeK and Latin Date relating to South Arabia", BSOAS , vol. 42, 1979", p.1.

وعاد من هناك محملًا بأسلاب وغنائم وفيرة، وذلك استنادًا لما دونه قائد تلك الحملة نفسه عبر النقش الموسوم بـ "Ja.635" بالسطور "٢٣-٣٢"، فيما نصه(٤٦):

٢٣- .../ و ع د ي / خ ل ف/ ه جر ن / ن جر ن/

... / و ع د ى / خ ل ف/ هـ ج ر ن / ن ج ر ن /

... واتجهت (إلى) منطقة مدينة نجران

٢٤- ب ع ل ي/ ض ب أ ت / أ ح ب ش ن/و ذ ك و ن/ ك و

ب ع ل ى / ض ب أ ت/ أ ح ب ش ن / و ذ ك و ن / ك و

(و) قهرت محاربي الأحباش والذي حدث (بمن) كانوا

٢٥- ن ه م و/و ع د ي / ه جر ن/ ق ر ي ت م / ذ ت / ك ه ل

ن هـ م و / و ع د ى / هـ ج ر ن / ق ر ى ت م / ذ ت / ك هـ ل

معهم (بأن) اتجهت (إلى) مدينة قريـة ذات كهلًا

٢٦- م/ ث ت ي / ض ب أ ت ن / ب ع ل ي / ر ب ع ت / ذ ي أ ل

م /ث ت ى / ض ب أ ت ن / ب ع ل ى / ر ب ع ت / ذ ي أ ل

مرتين (بـ) المحاربين (و) قهرت ربيعة ذي ال

٢٧- ث و ر م / م ل ك / ك د ت / و ق ح ط ن / و ب ع ل ى

ث و ر م / م ل ك / ك د ت / و ق ح ط ن / و ب ع ل ى

ثور ملك كندة وقحطان وقهرت

٢٨- أ ب ع ل/ ه جر ن/ ق ر ى ت م / و ح م د م/ ب

أ ب ع ل / هـ ج ر ن / ق ر ى ت م / و ح م د م / ب

سادات مدينة قرية وحمدًا

---

(٤٦)Jamme , A ., Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, pp. 136 -137.

٢٩- ذ ت/ خ مر/ أ ل م ق ه / ع ب د ه و/ أ ب ك ر ب

ذ ت /خ م ر / أ ل م ق ه / ع ب د ه و / أ ب ك ر ب

للذى منح إيل مقه عبده أبو كرب

٣٠- ب ت أ و ل ن / ب أ ح ل ل م / و س ب ي م / و م ل

ب ت أ و ل ن / ب أ ح ل ل م / و س ب ى م / و م ل

بالعودة بأسلاب وسبايا ومكاسب

٣١- ت م/ و غ ن م م/ و أ ف ر س م/ ذ ه ر ج/ و ذ أ خ ذ

ت م / و غ ن م م / و أ ف ر س م / ذ ه ر ج و / و ذ أ خ ذ

وغنائم وخيول (سُلبت من) المقتولين وأسروا

٣٢-و/ ح ي م/

و / ح ى م /

أحياء

٢- الملك ايل شرح يحضب وحماية لكندة:

واصل ايل شرح يحضب ملك سبأ وذريدان جهود ما سبقوة الملك شعر أوتر، في الذول عن كندة وإبعاد خطر الأكسوميين عنها، لما كان يغلب عليه هذا الملك من قوة وبأس شديدين، وذلك طبقًا لما تشير به العديد من نقوشه، التي رغم كثرتها إلا أنها لم تشر لتأريخ حكمه، ولذا فكان هذا الأمر محل خلاف واضح بين المؤرخين، فيرى في ذلك "فيلبي" أنه حكم بالفترة الممتدة ما بينى عامي ١٥٠ – ١٢٥ ق. م[٤٧]، وهناك أيضًا من يرى أنه قد حكم خلال الربع الأخير من القرن الأول ق.م[٤٨]، على أنه اعتبره هو نفس الملك المذكور لدى استرابو باسم "الساروس Ilasarus"[٤٩]، إبان حملة إيليوس جاليوس عام ٢٤ ق. م السابقةالذكر، ولكان

(٤٧)Philby, B., The Background of Islam, Alexandria, 1947, p. 94.

(٤٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص ٤٥٥.

(٤٩) STRABO, THE GEOGRAPHY OF STRABO, TRANSLATD BY JONES, H.L., VOL. VII, 4TH. ED., LONDON CH. 24p, p. 361.

الباحث يستبعد هذا الرأى لأنه لا يعتمد على دليل تاريخي، سوى التشابه اللفظي فقط بين هذين الاسمين، ولو كان ذلك الرأى صحيحاً لتكرر ذكره بالعديد من نقوش إيل شرح يحضب الكثيرة، لا سيما وأن حملة الرومان هذه تعد حدثًا كبيراً لا يمكن أن تغفله النقوش المسندية بصفة عامة. فقد تمكن ايل شرح يحضب من إحباط سائر مؤامرات الأكسوميين وخطرهم عن مدينة كندة، خاصة حينما حاولوا إشعال نيران الفتن هناك في وجه هذا الملك، من خلال إثارة قبائلها ضده، في ظل ما وعدوهم به من مساندة عسكرية قوية، حيث وصلت بالفعل إلى هذه المدينة التجارية قوات أكسومية على رأسها قائد كبير، يدعى "سبقلم"س بق ل م كان – من قبل – نائبًا للملك الأكسومي ذاته(٥٠) .

وحينما وصلت تلك الأنباء إلى الملك ايل شرح يحضب الذي كان يتسم القوة والطموح، أخذ يعد قواته لإخضاع هذا التمرد المدعوم أكسومياً، وقام في الوقت نفسه بالاتصال بالقبائل القاطنة قرب كندة، في محاولة منه لاستمالتها إلى جانبه أو على الأقل لضمان حيادها، ولعل ذلك يستشف من خلال مراسلاته لقبائل غسان(٥١) وأسد ونزار ومذحج، والتي حدد النقش الموسوم بـ "عنان٧٥" مواطنها بلفظة "شأمت ش أ م ت"، والتي تعنى لغوياً: الشمالية، ويقصد بذلك تلك القبائل التي كانت تقطن شمال مدينة كندة، وعامة فقد استجابت تلك القبائل لمبعوث هذا الملك ومسعاه، وذلك طبقًا لما ورد بالنقش عنان٧٥، فيما نصه(٥٢):

"ح م د م/ ب ذ ت / ت ا و ل/ ب و ف ي م / ب ن / ش أ م ت / ب ك ن / ب ل ت ه و/ م ر
"ح م د م / ب ذ ت / ت أ و ل / ب و ف ي م / ب ن / ش أ م ت / ب ك ن /ب ل ت ه و / م ر
" حمدًا لأنه عاد بسلام من الشمال حينما أرسله
أ ه و/ ا ل ش ر ح/ ي ح ض ب /م ل ك/ س ب أ /و ذ ر ي د ن/ ب ع ب ر / أ م ل ك / أ
أ ه و / ا ل ش ر ح / ي ح ض ب / م ل ك / س ب أ / و ذ ر ي د ن / ب ع ب ر / أ م ل ك / أ
سيده أيل شرح يحضب ملك سبأ وذريدان إلى ملوك
ش ع ب ن/ غ س ن / و ل آ س د/ و ن ز ر م/ و م ذ ح ج م/ر ا ك ح م د/ خ ي ل/ و م
ش ع ب ن/ غ س ن / و ل ا س د/ و ن ز ر م/ و م ذ ح ج م / ر ا ك ح م د / خ ي ل/ و م
قبائل غسان وأسد ونزر ومذحج وحمدًا لقوة
ق م/ا ل م ق ة/ب ذ ت/ه و ف ي / ب ل ت/ م ر أ ه و / و ت أ و ل / ب و ف ي م / ..."
ق م / ا ل م ق ه /ب ذ ت/ ه و ف ى/ ب ل ت/ م ر أ ه و / و ت أ و ل / ب و ف ي م /..."
وسطوة ايل مقه لأنه أنجح وفد سيده وعاد بسلام ..."

(٥٠)Jamme , A., Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis., p.319 .

(٥١) ليس المقصود بقبيلة غسان التي راسلها الملك إيل شرح يحضب هي مملكة غسان التي قامت بالشام قبيل الإسلام، وذلك للفارق الزمني الكبير بينهما، فزمن ايل شرح يحضب أقدم بكثير من زمن تلك المملكة، الذي يعتقد بأنها قامت مع نهاية القرن الخامس الميلادي (توفيق برو: مرجع سابق، ص ١٤٢) ولذا يرجح بأن قبيلة غسان المذكورة بنقش "عنان ٧٥"، هي إحدى القبائل القاطنة شمال نجران، وربما يدعم ذلك ما ذكره الهمداني عن وادٍ هناك يعرف بـ "وادى رمع"، يحوي موضع للماء يسمى غسان (أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن عبد الله النجدي، القاهرة، ١٩٥٣: ، ص ٧١).

(٥٢) محمد عبد الله بافقيه وكريستيان روبان: " من نقوش محرم بلقيس"، ريدان: حولية الأثار والنقوش اليمنية القديمة، مج١، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن، ١٩٧٨"، ص٥١.

وتوجه ايل شرح يحضب بعد ذلك مسرعًا بقواته نحو كندة، وشدد مهاجمته لها قبل استكمال قبائلها والأكسوميون دفاعتهم بها، لاسيما بعد أن وصلته الأنباء بأن الإمدادات الأكسومية بدأت في التدفق إلى سبقلم القائد الأكسومي هناك(٥٣)، وبالرغم من ذلك فقد تمكن إيل شرح يحضب من إنزال هزائم ساحقة بقبائل كندة في معارك عديدة، كان أشهرها تلك التي دارت رحاها عند "وادى ركبتن س ر ن / ر ك ب ت ن" (الواقع في تهامة بجنوب جيزان) (٥٤)، والتي على أثرها خضعت مدينة كندة وأيضاً قبائلها، الذين قاموا بتقديم أبنائهم كرهائن للملك، وذلك بعد أن قتل وأسر الكثير من سكانها، وردم العديد من أبارها، ودمر حقولها، وكان ذلك كله تحت أعين سبقلم، الذي انتابه الخوف والفزع من قوة وبأس هذا الملك، ولم يستطع أن يحرك ساكنًا(٥٥)، وذلك استنادًا لما ورد فى النقش المرسوم بـ "Ja.577" بالسطور "١٢-١٥"،فيما نصه(٥٦):

١٢] ه غ ر و/ ب ع ل ي ه م و/ ب ن / م غ و ن ه م و/ ذ س ر ن /ر ك ب ت ن /و

ه غ ر و /ب ع ل ي ه م و /ب ن / م غ و ن ه م و/ذ س ر ن /ر ك ب ت ن / و

أغار عليهم فى بقائهم بوادى ركبتن

ي ل ف ي ه م و / ك ل /م ر أ س/ و أ ح ر ر / ش ع ب ن / ن ج ر ن /... و ع ق

ي ل ف ي ه م و / ك ل /م ر أ س / و أ ح ر ر / ش ع ب ن / ن ج ر ن / ... و ع ق

وأسروا كل زعماء وأحرار قبيلة نجران ... (أمام)

ب ه م و/ ح ب ش ي ن / س ب ق ل م ...

ب ه م و /ح ب ش ي ن / س ب ق ل م ...

قائدهم الحبشي سبقلم ...

١٣] ... و و ه ب و/ ب ن ي ه م و/ و ب ن ت ه م و / أ و ث ق م / ...

... و و ه ب و / ب ن ي هـــم و / و ب ن ت ه م و / أ و ث ق م / ...

وقدموا أولادهم وبناتهم كرهائن

١٤] ...و ي هر جو/ب ن /ش ع ب ن /ن ج ر ن/ا ر ب ع ت/و ع شري/و ت س ع/م

... و ي ه ر ج و /ب ن / ش ع ب ن /ن ج ر ن / ا ر ب ع ت / و ع ش ر ى/و ت س ع /م

ويقتل من قبيلة نجران أربعة وعشرين وتسعة

أ ن م / أ س د م /و ث ن ي / و س ث ي / و خ م س/ م أ ت م/ أ س ب ي م / و ي

أ ن م / أ س د م / و ث ن ى / و س ث ى / و خ م س / م أ ت م / أ س ب ي م / و ي

مائة مقاتلًا واثنين وستون وخمسة مائة أسير

---

(٥٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٤٣٨.

(٥٤)Jamme, A . , Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, p.323.

(٥٥) محمد عبد القادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، بيروت، ١٩٨٥م ، ص١٢٧.

(٥٦)Jamme, A ., Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, pp.76-77.

ق م ع و/ ب س ر ن ه ن/ ن جر ن /ث م ن / و س ث ي/ ه ج ر م/ و ي جب ذ و/ ...
ق م ع و / ب س ر ن ه ن / ن ج ر ن / ث م ن / و س ث ى /ه ج ر م / و ى ج ب ذ و / ...
ويخضعوا بوادي نجران ثمانية وستون مدينة ويدمروا ...
١٥] س ث ي / أ أ ل ف م / أ ع م د م / و ي ث ر و/ س ب ع /و ت س ع ي /أ ب أ
س ث ى/ أ أ ل ف م / أ ع م د م / و ي ث ر و / س ب ع / و ت س ع ى / أ ب أ
ستين ألفاً من الحقول ويردم سبع وتسعين (من) الآبار
ر م/ و ح م د م/ ب ذ ت/ ه و ش ع / ا ل م ق ه ث ه و ن ب ع ل أ و م/
ر م/ و ح م د م /ب ذ ت/ه و ش ع /ا ل م ق ه ث ه و ن ب ع ل أ و م/
حمدًا لأنه ساعد المقه ثهوان رب أوام
ع ب د ه و / ا ل ش ر ح / ي ح ض ب / م ل ك / س ب أ / و ذ ر ي د ن / ...
ع ب د ه و / ا ل ش ر ح / ي ح ض ب / م ل ك / س ب أ / و ذ ر ي د ن / ...
عبده ايل شرح يحضب ملك سبأ وذريدان ...

وهكذا يتضح من النقوش المسندية مدى الجهد الكبير الذي بذله كل من شعر أوتر وإيل شرح يحضب ملكي سبأن وذريدان، لإنقاذ مدينة كندة من خطر الأكسوميين، الذين ظلت أحلامهم مرتبطة بهذه المدينة التجارية، حتى نجحوا عام٥٢٥م في السيطرة عليها وعلى سائر جنوب الجزيرة العربية.

ثالثًا: مهاجمة امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة كندة:

تعرضت مدينة كندة ذات الموقع التجاري المتميز، لخطر داهم ناجم عن وصول جيوش ملك الحيرة امرئ القيس بن عمرو (٣٠٠– ٣٢٨م) إلى كندة ومهاجمتها، وذلك استناداً لما ورد في نقوش مدوَّن على شاهد قبر هذا الملك، تاريخه يعود لعام٣٢٨م(٥٧)، عثر عليه بموضع النمارة التابع حينذاك لسلطان الرومان(٥٨)، والواقع بالحرة الشرقية من جبل الدروز (محافظة السويداء جنوبي سورية)(٥٩) وجاء بهذا النقش، ما نصه(٦٠) :

---

(٥٧)Wissmann, V., Himyar, Ancient History, Le Museon, 3–4, Lauvain, p. 486.

(٥٨) يرجح بعض المؤرخين المحدثين بأن وجود قبر امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة الموالية لفارس، بأرض الشام التابعة لسلطان الرومان، بأن هذا الملك قد خلع في آواخر حياته الولاء للفرس، وغادر الحيرة متوجهًا إلى الشام كتابعًا للرومان، ومات ودفن هناك بالنمارة، وقد برر أولئك المؤرخون ذلك بما ذهب إليه الإخباريون، من أن امرئ القيس هذا قد تنصر في آواخر حياته، فأثار ذلك ضده غضب الفرس المجوس، فلجأ للشام التابعة للروم، لاسيما وأن الإمبراطور الروماني "قسطنطين" (٣٠٦–٣٣٧م) نفسه قد تنصر آنذاك: عرفان شهيد: حملة امرئ القيس علي نجران: المصادر غير العربية"، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، جامعة الرياض،١٩٧٩، ص٧٤.

(٥٩) عارف عبد الغني: تاريخ الحيرة في الجاهلية والإسلام، دار كنان، دمشق،١٩٩٣، ص٦١.

(٦٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص١٩١.

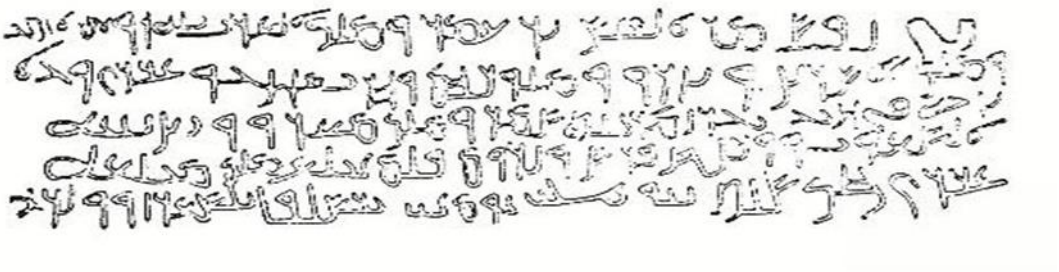

- هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج.
- وملك الأسدين ونزار و ملوكهم، وشتت مذحجًا بقوته وقاد.
- الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر، وملك معدًا واستعمل أبنائه على.
- القبائل، ووكلهم لدى الفرس والروم، فلم يبلغ ملك مبلغه.
- في القوة، هلك سنة٢٢٣يوم٧ بكسلول، ليسعد الذي ولده.

ويتضح من خلال التحليل التاريخي لما ورد بنقش النمارة ، أن ملك الحيرة امرئ القيس بن عمرو المدعوم الامبرطورية الفارسية، كان يحمل بين جنبات نفسه رغبة انتقامية جامحة ضد الملك المذكور في ذلك النقش باسم "شمر"، والذي كان يحكم حينذاك مدينة كندة(٦١)، والدليل الباحث يتضح في إصراره للوصول إلى مدينة كندة الواقعة بجنوب غرب جزيرة العرب والسيطرة عليها، من أيدي ذلك الملك المذكور بهذا النقش، ومن أجل ذلك تحمل بالطبع معاناة ومكابدة الاجتياح لقلب جزيرة العرب، وهو القادم من أقصى شمالها الشرقي، وذلك بتصميم بالغ وبدون اكتراث لظروفها الصحراوية الشديدة القسوة، هذا بالإضافة لما لقاه بالطبع خلال ذلك من مقاومة عنيفة من القبائل العربية الضاربة هناك، كأسد ونزار ومعد، وأيضًا قتاله الشديد مع مملكة كندة الأولى بأرض نجد وتشتيت قبائلها، والمشار إليها بذلك النقش السابق باسم "مذحج"(٦٢)، وهي القبيلة التي تعد أبرز وأشهر قبائل تلك المملكة، حيث إنها كانت تُشكل مع قبيلة كندة حينذاك اتحاداً قبلياً يقوم على أساسه بنيان تلك المملكة، حتى أن حكامها – طبقًا لنقوشهم – كانوا يتلقبون بـ "ملوك كندة ومذحج"(٦٣)، ولعل هذا يوضوح بالنقش المسندي الموسوم بـ "Ja.2210" عن ملك كندي يدعى "مالك بن بد م ل ك / ب ن/ ب د"، كان يحمل لقب "ملك كندة ومذحج(٦٤) أو ربما كما يعتقد "ويزمان" بأن مذحج كانت تمثل القبيلة الرئيسية لتلك المملكة، وأن كندة ما هي سوى العشيرة الحاكمة(٦٥) .

(٦١) فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، القاهرة، د. ت

(٦٢)محمد بن أحمد العقيلي: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جيزان، ج ١، ١٩٦٩ ، ص ٧٧ .

(٦٣) محمد يحيى الحداد: تاريخ اليمن السياسى، ط ٤، ١٩٨٦ ، ص ٥٦ .

(٦٤) يوسف محمد عبد الله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ط ٢، بيروت، ١٩٩٠، ص ٤٧٤.

(٦٥) Wissmann, V., Himyar, Ancient History, Le Museon, 3–4, Lauvain, p. 488.

ويكمن عندي السبب الرئيسي وراء تلك الرغبة الانتقامية الجامحة التي دفعت امرؤ القيس بن عمرو ملك الحيرة وحلفائه من الفرس، لذلك الاجتياح الصعب لجزيرة العرب لكي يصل إلى كندة، هو أنه بالإضافة لرغبته للهيمنة على الحركة التجارية المنتعشة- المشار إليها سابقاً- عبر هذه المدينة، إنه كان يسعى كذلك جاهدًا لتأديب وكسر شوكة "شمريهرعش ش م ر / ي ه ر ع ش" ملك سبأ وذريدان وحضرموت ويمنت، المشار إليه بنقش النمارة السابق باسم شمر، وذلك لما قام به من عمل خطير آثار غضب الحيرة وفارس على السواء، يتلخص في إرساله لحملة عسكرية قوية إلى منطقة الخليج العربي، التابعة حينذاك لسلطان الفرسى والحيرة المذكورة بالنقش باسم"تنوخ ت ن خ"، وكانت تلك الحملة بقيادة عامله على مدينة "صعدة ص ع د ة" المدعو "ريمن ذحزفرم ر ي م ن/ ذ ح ز ف ر م"، وذلك طبقًا لما ورد بالنقش الموسوم بـ "شرف الدين٤٤"، والذي حدد أسماء المواضع التي بلغتها تلك الحملة، وذلك بمنطقتي "قطوسف ق ط و س ف " و "كوك و ك و ك"، ومما لاشك فيه بأن قطوسف هذه ما هي سوى "القطيف الحالية" الواقعة بالإحساء، أما بالنسبة إلى كوك فيرى "ويزمان" بأنها إحدى الواحات التابعة للقطيف(٦٦)، وقد أشار هذا النقش بوضوح بأن هاتين المنطقتين كانت تحت سلطان مملكتي فارس وتنوخ، ويتجلى ذلك بالسطور "٩-١١" من النقش شرف الدين٤٤، فيما نصه(٦٧):

٩- ... و س ب أ / ... / س ب أ ت ي
. .. و س ب أ / ... / س ب أ ت ى
... وشن ... حملتين

١٠- ن / و و ز أ / م ظ أ / ع د ي / ق ط و س ف / و ك و ك / م
ن / و و ز أ / م ظ أ / ع د ى / ق ط و س ف / و ك و ك / م
وعزز ذلك أن سار ضد قطوسف وكوك

١١- م ل ك ت ي / ف ر س / و أ ر ض / ت ن خ
م ل ك ت ى / ف ر س / و أ ر ض/ ت ن خ
بمملكتي فارس وبلاد تنوخ

(٦٦)Wissmann, V., Himyar, Ancient History, Le Museon, 3-4, Lauvain, p.487.

(٦٧)Wissmann, V., "Zur kenntnis von Ostarabien, Besonders "Al-Qatif, Im Altertum", Le Muséon, LXXX, 3-4, Louvain, 1967,p.490.

فقد شكل وجود قوات امرئ القيس– دون شك– عند كندة بموقعها المتميز عبر طريق البخور العظيم، تهديداً فادحاً لحركة القوافل التجارية لدولة الملك شمريهرعش بجنوب جزيرة العرب، والذي لم يكن أمامه سوى الحسم العسكري، لوضع نهاية لذلك التهديد الخطير، وبالرغم من ندرة النقوش المرتبطة بذلك النزاع الذي نشب بين هذين المملكتيين الكبيرين، إلا أن النصر غالباً كان حليفًا لشمريهرعش، ولعل ما يدعم ذلك ما ورد بالنقش المسندي الموسوم بـ "Ja.658"، الذي تشير سطور منه إلى انتصار كبير حققه الملك شمر يهرعش، على جيش يقوده رجلًا يدعى "نشدايل ن ش د/ ال"، يرجح إنه قائد قوات امرئ القيس، وذلك استنادًا إلى أنه كان يحمل اسم عربي شمالي(٦٨)، وذلك بمعركة دارت بينهما عند وادي عتود(٦٩)، الذي يصب بالبحر الأحمر والواقع على مسافة٨٥ كيلو متراً شمال غربي جيزان(٧٠)، كماهو موضح في الخريطة (رقم ٣)، ويتضح أحداث ذلك النصر عبر السطور "٢١–٢٧" من النقش Ja.658، الذي دونه جنديان من جيش شمريهرعش، مشاركاً في هذا القتال، وهما "أبي شمر أ ب ش م ر" و "رفأ ر ف أ"، وذلك فيما نصه(٧١):

٢١- ... و ح ر ب و / ع ش ر/ ن

... و ح ر ب و / ع ش ر / ن

... وحاربوا عشائر ن

٢٢- ش د إ ل/ ب س ر ن / ع ت و د / ب ش م ت / و

ش د إ ل / ب س ر ن / ع ت و د / ب ش م ت / و

نشدايل بالوادي عتود في الشمال و

٢٣- ح م د م / خ ى ل / و م ق م / ا ل م ق ه ث ه و

ح م د م / خ ى ل / و م ق م / ا ل م ق هـ ث ه و

حمدًا (لـ) قوة ومكانة إيل مقه ثهوان

٢٤- ن ب ع ل أ و م / ب ذ خ م ر / ع ب د ي ه و

ن ب ع ل أ و م / ب ذ خ م ر / ع ب د ى هـ و

بعل أوام للذى منح (به) عبديه

---

(٦٨)Wissmann, V., Himyar, Ancient History, Le Museon, 3–4, Lauvain, p.487.

(٦٩) محمد بيومي مهران: تاريخ العرب القديم، ج١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص٣٥١.

(٧٠) Jamme, A . , Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, p. 373.

(٧١) Jamme, A . , Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis ., p. 163.

٢٥- أ ب ش م ر / و ر ف أ / ب ن ي / ح ف ن م/ و

أ ب ش م ر / و ر ف أ / ب ن ى / ح ف ن م / و
أبي شمر ورفأ من حفنم و

٢٦- ذ ن م / أ ح ل ل م / و ا خ ي ذ ت م / وس

ذ ن م / أ ح ل ل م / و ا خ ى ذ ت م / وس
ذنم أسلاب وأسرى و

٢٧- ب ي م/ و غ ن م م / ذ ع س م / ...

ب ى م / و غ ن م م / ذ ع س م / ...
سبايا وغنائم ذات وفرة ...